توجيهات للدعاة

إعداد الدكتور

عبد العزيز بن عبد الله الحُمَيدي

الأستاذ بجامعة أم القرى

والمدرس بالمسجد الحرام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

أما بعد: فإن الدعاة إلى الله تعالى هم أهل الإصلاح الآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر، وهم الذين تتكَوَّن منهم الطائفة المنصورة التي بيَّنْتُ معالمها في رسالة مستقلة.

ونظرًا لأهمية الدور الذي يقوم به الدعاة الإسلاميون من إصلاح المجتمع الإسلامي من داخله وإصلاح العالم فإنني أحب أن ألقي الضوء على بعض التوجيهات التي يجب أن يتصف بها هؤلاء الدعاة المصلحون ليصلوا بإذن الله تعالى إلى درجة من الكمال تؤهلهم لقيادة الأمة الإسلامية ونشر الهداية

في جميع بلاد العالم، وتحويل أمم الأرض من أمم متصارعة يغلب فيها القوي الضعيف إلى الأمة الواحدة التي تنشر العدل والأمن في ربوع الأرض.

إخلاص العمل لله تعالى

إن أهم عوامل النجاح في الدعوة الإخلاص التام لله تعالى وحده في كل عمل يقوم به المسلم، والتجرد التام من إرادة حظ النفس أو العمل للآخرين من دون الله تعالى.

والنصوص التي تأمر بالإخلاص لله تعالى وتنهى عن الشرك كثيرة معروفة في الكتاب والسنة.

والإخلاص لله سبحانه لازم في العمل كله وخصوصًا في مجال الدعوة إلى الله تعالى التي تُعدُّ المهمة الأولى لعلماء الدين الذين يشكِّلون قمة جماعة المسلمين، فإن الداعية يحمل مسؤولية الأمة التي يروم هدايتها إلى الطريق المستقيم، وهو محط أنظار

المدعوين في كل صغيرة وكبيرة، فإذا لاحظوا منه عملاً لِحَظِّ النفس، أو تعصبًا لجماعة بغير حق فإنه يسقط من أعينهم، فيكون ذلك سببًا في فشله في الدعوة فضلاً عن إخفاقه في الظفر بالأجر الأخروي.

ثم إنه قد يتعرض بعضهم للفتنة فيما إذا قَرنوا بين الدعوة والداعية حيث قد يُحمِّلون الدعوة أخطاء الداعية التي تترتب على عدم الإخلاص، فيتكوَّن لديهم نفور من الالتزام بالدين، أو يتابعون الداعية على خطئه لفرط إعجابهم به فيكونون قد وقعوا في الخطأ نفسه.

وإذا كان صاحب الدعوة مسؤولاً في جماعة أو قائدًا في معركة فإن الخَطْب يكون أعظم وأبلغ أثرًا

فيما إذا لم يتجرد من حظ النفس ولم يخلص النية لله تعالى.

أما مظاهر الإخلاص فإنها كثيرة نذكر منها على سبيل المثال:

١- الوقوف عند نصوص الكتاب والسنة، وعدم اللجوء إلى تأويلها إذا خالفت ما عليه الداعية أو التباطؤ في تنفيذها، فإن الوقوف عندها وتنفيذها على الفور واضح الدلالة على الإخلاص لله تعالى وتعظيمه والبراءة من حظ النفس.

وقد كانت هذه من الصفات البارزة عند الصحابة رضي الله عنهم اقتداء بالنبي ﷺ كما أخرج الإمام البخاري بإسناده عن ابن عباس رضي الله

عنهما قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحُرِّ بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ﷺ ومشاورته كهولاً كانوا أو شبابًا، فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن الحرُّ بن قيس لعيينة، فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: هِيْ[1] يا ابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى همّ به فقال له الحرّ: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٩٩] وإن هذا من الجاهلين، قال: والله

(١) أي تنبَّه.

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

ما جاوزها عمر حين تلاها عليه وكان وقافًا عند كتاب الله تعالى[1].

وكذلك ما حدث في سقيفة بني ساعدة حينما اجتمع الصحابة رضي الله عنهم لاختيار خليفةٍ بعد رسول الله ﷺ، وكان الأنصار قد اجتمعوا وأرادوا بيعة زعيم الخزرج سعد بن عبادة رضي الله عنه، وجرى بينهم وبين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما مناقشة، ثم استسلم الأنصار جميعًا حينما قال أبو بكر: ولقد علمتَ يا سعد أن رسول الله ﷺ قال وأنت قاعد: قريش ولاة هذا الأمر فبَرُّ الناس تبع لبَرِّهم، وفاجر الناس تبع لفاجرهم، قال فقال له سعد: صدقت،

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير حديث رقم ٤٦٤٢ (٨/ ٣٠٤).

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

نحن الوزراء وأنتم الأمراء.

أخرجه الإمام أحمد من حديث حميد بن عبدالرحمن الحميري رحمه الله[1].

وذكره الإمام ابن تيمية وقال: فهذا مرسل حسن، ولعل حميدًا أخذه عن بعض الصحابة الذين شهدوا ذلك، قال: وفيه فائدة جليلة جدًّا وهي أن سعد بن عبادة نزل عن مقامه الأول في دعوى الإمارة وأذعن للصديق بالإمارة، فرضي الله عنهم أجمعين[2].

فكان وقوف الصحابة رضي الله عنهم عند سنة رسول الله ﷺ وخضوعهم لها سببًا في جمع شملهم وحمايتهم من الخلاف والفرقة.

---

(١) مسند أحمد (١/ ٥).

(٢) منهاج السنة النبوية (١/ ٥٣٦).

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

ومن ذلك إصرار أبي بكر ﷺ على بعث جيش أسامة بن زيد رضي الله عنهما، على الرغم من حاجة المسلمين إليه حينما ارتدت أو تمردت أكثر قبائل العرب على دولة الإسلام، وذلك تنفيذًا لأمر رسول الله ﷺ حتى قال أبو بكر لما راجعه الصحابة في ذلك: والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباع تخطفني لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسول الله ﷺ[1].

وكذلك إصراره على جهاد جميع قبائل العرب التي ارتدت أو تمردت، وعدم قبوله مراجعة الصحابة في شأن مانعي الزكاة، كما أخرج الشيخان من حديث أبي هريرة ﷺ أنه قال:« لما توفي رسول الله ﷺ واستُخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٢٢٥).

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

عمر: يا أبا بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ:« أُمِرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله، قال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عَناقًا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها، قال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيت أنْ قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق»[1].

ولقد كان لتنفيذ أمر النبي ﷺ الذي ألهم الله تعالى أبا بكر لفهمه الأثر العظيم في عودة دولة الإسلام في جزيرة العرب في عدة شهور.

(١) صحيح البخاري، رقم ٦٩٢٥،٦٩٢٤، كتاب استتابة المرتدين (١٢/ ٢٧٥)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، رقم ٢٠ ص ٥١.

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

٢- أن تكون تصرفات المسلم في هذه الحياة الدنيا منبثقة من شعوره برقابة الله عز وجل عليه وحده، وذلك بأن يكون سلوكه منسجمًا مع التكاليف الشرعية، وهذا دليل على تجريد القلب من الخضوع لأي قوة من قوى الأرض، وإخلاص هذا الخضوع لله تعالى وحده، فإذا تنازع قلبَه الخضوعُ لله تعالى في بعض السلوك والخضوع لقوى الأرض في أنواع أخرى من السلوك فإن هذا دليل على عدم إخلاصه لله تعالى، وبذلك فإن الثقة تضعف بمثل هذا لتذبذبه بين الصعود إلى الأعلى حيث مراقبة الله عز وجل والعمل للآخرة وبين الهبوط إلى الأسفل حيث مراقبة قوى الأرض والعمل للدنيا.

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

٣- العزوف عن حب الرئاسة وعدم الإقدام على طلبها لما في ذلك من التعرض لمواقع الفتنة، ولذلك نهى رسول الله ﷺ عن سؤال الإمارة كما جاء في صحيح الإمام البخاري من حديث عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ:« يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة فإنك إن أُعطيتها عن مسألة وُكلت إليها وإن أعطيتها عن غير مسألة أُعنت عليها»[1].

ذلك لأن من استشرف للإمارة من أجل حب الظهور والرئاسة فإنه في الواقع لم يتجرد بعدُ من حظ النفس وستكون بعض تصرفاته منطلقة من ابتغاء هذا الهدف فَيَضل ويَضلَّ بسببه غيره سواء من

(١) صحيح البخاري كتاب الأحكام حديث رقم ٧١٤٦، باب ٥ (١٣/ ١٢٣).

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

موافقيه الذين يحملهم الإعجاب به على عدم رؤية الحق أو من مخالفيه الذين يشغلهم انتقاده عن الإسهام في بناء الدعوة الإسلامية.

ولقد بين النبي ﷺ مغبة الحرص على الإمارة وما ينطوي عليه ذلك من تلبية لبعض متطلبات النفس التي يعقبها سوء الخاتمة، وذلك بقوله ﷺ« إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة فنعم المرضعة وبئست الفاطمة» أخرجه الإمام البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه [1].

ولكن قد يكون طلب الولاية ضرورة، وذلك حينما يشعر الإنسان من نفسه بالكفاية لعمل ولا يرى

(١) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، حديث رقم ٧١٤٨، باب ٧ (١٣/ ١٢٥).

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

ممن حوله من يستطيع أن يؤدي العمل بالكفاية نفسها، وذلك كما جاء في طلب يوسف عليه السلام للولاية حينما قال لعزيز مصر ﴿ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴾ [يوسف:٥٥]، ومثله استشراف بعض أهل الشورى للخلافة بعد عمر ﷺ فإنما كان قصدهم الإصلاح والتنافس على عمل صالح يوصل مع العدل إلى قمة من يظلهم الله تعالى تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله.

٤- إبداء النصح لإخوانه:

وذلك بأن ينظر إلى مصلحة الدعوة فيجعلها فوق كل شيء، فيبدي النصح لإخوانه الذين يعملون معه والذين يخلفونه في العمل بما يحقق مصلحة الدعوة، فإن النظر إلى المصلحة العامة للمسلمين

دليل على التحلي بخلق الإيثار، والتحلي بهذا الخلق العالي دليل على التجرد من النظر إلى حظ النفس إذا كان يتعارض مع مصلحة الجماعة، وكون هذا الإيثار ناتجًا عن ابتغاء رضوان الله تعالى دليل على كمال الإخلاص.

ولقد جعل النبي ﷺ النصح هو الدين، وذلك فيما أخرجه الإمام مسلم من حديث تميم الداري أن النبي ﷺ قال:« الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[1].

وإنما جعل النبي ﷺ النصح هو الدين لأنه لازم

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، حديث رقم ٩٥/ ٥٥، باب ٢٣ (ص ٧٤).

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

لجميع الأعمال ولذلك كان النبي ﷺ يبايع أصحابه على النصح للمسلمين كما أخرج الإمام البخاري من حديث جرير رضي الله عنه قال: بايعت رسول الله ﷺ على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم[1].

٥- الرغبة في نصرة الحق لذات الحق:

فالإخلاص لله تعالى والنظر في ابتغاء مرضاته دائمًا وإلغاء أيّ سلوك يتنافى مع ذلك يقتضي من المسلم أن يسعى لنصرة الحق أيًّا كان من يمثله وأن يخضع للحق ولو كان من دعاه إليه رجلاً يكره أن يكون تابعًا له ومؤيدًا لرأيه.

بل الإخلاص يقتضي أعظم من ذلك وهو أن

(١) صحيح البخاري، مواقيت الصلاة، رقم ٥٢٤، باب ٣ (٢/ ٧).

يكون انتصاره للحق من أجل أنه حق في ذاته لا لأنه مقتنع بأنه يمثله وأن الحق موافق لرأيه.

ومما يميز التحلي بهذا الخلق الرفيع أن يتمنى في قرارة نفسه وهو يدخل في مناقشات مع إخوانه أن يظهر الحق سواء كان إلى جانب اجتهاده أو إلى جانب من يخالفه الرأي.

بل أعلى من ذلك أن يحب ظهور الحق مع مخالفيه، ثم يرجع إلى رأيهم فيكون بذلك قد ضرب أروع الأمثال في التجرد من حظ النفس، والاندماج الكلي في تقرير مصلحة الأمة عن طريق إقرار الحق وانتزاع الأثرة من النفوس.

ولقد روى لنا التاريخ أمثلة عالية في مجال

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

المناظرة بين العلماء، من ذلك ما رُوي عن الإمام الشافعي رحمه الله أنه قال:« ما ناظرت أحدًا إلا أحببت أن تكون الحجة معه».

وقال حاتم الأصم:« أفرح إذا أصاب من ناظرني وأحزن إذا أخطأ»[1].

وبهذا يتبين لنا أن من آداب المناظرة بين علماء الدين أن لا يعتقد كل فريق أن الحق معه وحده وأن مناظره لا يحتمل أبدًا أن يكون الحق معه، بل عليه أن يعتقد احتمال كون الحق مع مناظره مع اعتقاده بأنه هو على الحق، وبذلك تكون المناظرة قائمة لإثبات الحق سواء كان معه أو مع مناظره، وأن يحمل في

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٨٧).

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

شعوره الاستعداد الكامل لترك ما يراه واتباع ما عليه مُناظره، أما إذا حمل في شعوره أن مُناظره لا يحتمل أبدًا أن يكون الحق معه فإنه يكون قد سد المنافذ على نفسه للتأكد من صواب ما ذهب إليه، والنقاش معه لا يجدي لأن الشيء الوحيد الذي يفكر به هو أن يفرض ما يرى أنه الحق ولو بالوسائل التي لا يقبلها العقل.

أما إذا كان النقاش بين علماء المسلمين وعلماء الكفار فلا بد أن يشعر المسلم دائمًا بأنه على الحق وأن الكفار على باطل، وأن مناظرته للكفار إنما هي لتبصيرهم بالحق الذي معه وإقامة الحجة عليهم.

ومما يدخل في ذلك الرجوع إلى الحق بعدما

يتبين، ومن الأمثلة العالية في ذلك ما روي عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه قال: ما من كتاب أهون عليَّ ردًّا من كتاب قضيت به ثم أبصرت أن الحق في غيره[1].

أما الشهادة للمخالفين بما يؤيد موقفهم فإنها من كمال التجرد والنظر إلى الحق لذاته، ومن الأمثلة الرائعة في ذلك ما ذكره الحافظ ابن كثير في سياق معركة الجمل من أن علي بن أبي طالب ﷺ قام في الناس خطيبًا فقام إليه الأعور بن نيار المنقري فسأله عن إقدامه على أهل البصرة فقال: الإصلاح وإطفاء الثائرة ليجتمع الناس على الخير ويلتئم شمل هذه

(١) سيرة عمر بن عبدالعزيز لابن الجوزي / ٦١.

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

الأمة قال: فإن لم يجيبونا؟ قال تركناهم ما تركونا، قال: فإن لم يتركونا؟ قال: دفعناهم عن أنفسنا، قال: فهل لهم في هذا الأمر مثل الذي لنا؟ قال: نعم، وقام إليه أبو سلام الدالاني فقال: هل لهؤلاء القوم حجة فيما طلبوا من هذا الدم -يعني دم عثمان ﷺ- إن كانوا أرادوا الله في ذلك؟ قال: نعم، قال: فهل لك من حجة في تأخيرك ذلك؟ قال: نعم، قال: فما حالنا وحالهم إن ابتلينا غدًا؟ قال: إني لأرجو أن لا يقتل منا ومنهم أحد نقيٌّ قلبه لله إلا أدخله الله الجنة[1].

وفي هذا النص بيان ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم من الإخلاص والتجرد من الهوى حيث

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢٥٠).

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

يقولون الحق ولو كان لصالح من نهض لخصومتهم.

وفيه بيان الحكم على من اجتهد في طلب الحق وهو مخلص النية لله تعالى بأنه معذور ويُرجى له دخول الجنة وإن أدَّى اجتهاده إلى ما ظاهره معصية من المعاصي الكبيرة كالقتال بين المؤمنين فكيف بما هو دون ذلك؟!

٦- التضحية وبذل الطاقة في سبيل الله تعالى:

إن المسلم يحمل طاقة عشرة من الرجال كما جاء في قول الله جل وعلا ﴿ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنفال:٦٥].

وهذه الآية وإن كان ظاهرها أن قوة المسلم في القتال تعادل قوة عشرة فإنها ليست خاصة في القتال،

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

بل تشمل كل أنواع الجهاد، ومنها الدعوة إلى الله تعالى والإصلاح، ذلك لأن المسلم حينما يعمل لا يعمل لأن الناس يرونه أو لأنه ينتظر منهم الثناء أو المكافآت، فإن الذي يعمل لذلك تكون جهوده محدودة في بلوغ هذه الغايات القريبة، ولكنه حينما يعمل يريد وجه الله تعالى والسعادة الأخروية، وهذا الهدف العالي لا يحدُّه مكان ولا زمان، وبذلك فإن الطاقة الإنتاجية لهذا العامل تكون كبيرة وعالية بقدر سمو الهدف الذي كان وراء إنتاجها.

فإذا كان الدعاة إلى الله تعالى يضحُّون بأنفسهم ويبذلون من أموالهم في سبيل إعزاز الإسلام وإقامة دولته والرفع من شأن المسلمين فإن هذا دليل على إخلاصهم لله تعالى.

تعظيم حق الله تعالى ودينه ورسوله ﷺ

ينبغي لقادة الدعوة أن يربوا أتباعهم على تعظيم الله تعالى وتقديره حق قدره والإكثار من ذكره مع استحضار عظمته ورقابته جل وعلا، وأن تكون طاعته مقدمة على طاعة أي مخلوق.

كما ينبغي لهم أن يرسخوا في قلوب أتباعهم محبة النبي ﷺ وتقديره وإجلاله وطاعته، وتَذَكُّر إمامته العظمى لجميع المسلمين، وأنه قدوتهم في كل شؤون حياتهم، وأن يربوهم على تعظيم الإسلام وجعله قضيتهم الكبرى في هذه الحياة، وأن يرسخوا في اعتقادهم أنه النظام الوحيد الذي يحكم حياتهم وأن عليهم أن يرجعوا لهديه في كل صغيرة وكبيرة من أمور حياتهم، ولا يكفي في ذلك الوعظ البسيط

المتقطع، بل لا بد من تكرار هذه المعالم بمختلف الأساليب والمناسبات حتى ترسخ في نفوسهم وتصبح مبدأ ثابتًا لهم في الحياة.

أما قادة الدعوة فإنه ينبغي أن يأخذوا حجمهم المناسب في القدوة والمحبة والاهتمام وأن لا يطغى حقهم على حق الله تعالى ورسوله ﷺ.

إن الداعية المؤثر حينما يهدي الله تعالى على يديه من يشاء من الحيارى والتائهين فإنهم يشعرون على الفور بأن يدًا حانية حازمة امتدت إليهم فأنقذتهم من الهلاك.

إن الحائر التائه يشبه الذي أشفى على الغرق، فإذا بيد منقذة قد امتدت إليه وانتشلته من لجة الماء،

فماذا يكون شكره لمنقذه؟

ألا وإن الذي ينقذ الحيارى والتائهين من الهلاك الذي أشفوا عليه أعظم معروفًا وأحق بالشكر من منقذ الغرقى، ولذلك فإن من الطبيعي أن يتجه هذا المهتدي على الفور إلى تعظيم منقذه وهاديه، وأن يكون أطوع له من بنانه، فليتَّق الله هؤلاء الهداة، وليوجهوا المهتدين على أيديهم إلى تعظيم الله تعالى وتقديره حق قدره والاستسلام له في كل الأمور وأن يجعلوا قدوتهم الأولى والعظمى هو رسول الله ﷺ وأن يبينوا لأتباعهم أن دور القادة الهداة هو دور من اكتشف طريق السعادة فدل الناس عليه، فله حقه المناسب من الاحترام والطاعة، ثم هو بدوره وبمقتضى ما يرشده إليه إيمانه يربِّي أتباعه على شكر

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

المنعم جل وعلا على هذه الهداية وعلى سائر النعم، وشكر من جرى على يديه تبليغ هذه الهداية لهذه الأمة كافة ﷺ.

وإننا حينما نتذكر سيرة رسول الله ﷺ نجد أنه – وهو رسول الله الذي له من الحق ما ليس لأي داعية – قد ربَّى صحابته على أبلغ ما يمكن تصوره من تعظيم الله وشكره، ولذلك استقام أمرهم بعده، ورجعوا بعد هول الصدمة بتلقِّي نبأ وفاته على أعلى مستوى من القوة والسداد والحزم، وواجهوا أعظم هول مرَّ على الأمة حين ارتدت أو تمردت معظم قبائل العرب على دولة الإسلام، إلى جانب ما كان ينتظرهم من تربص دولة الروم بهم.

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

الالتزام بالمنهج الإسلامي

يجب على الأتباع على مختلف مستوياتهم أن يجعلوا التعليمات والوصايا التي وصلت إليهم من مؤسس جماعتهم مجرد توجيهات قابلة للخطأ والصواب، وأن يعرضوها على شريعة الله تعالى فما وافقها أخذوا به وما خالفها تركوه، كما يجب عليهم ألاَّ يجمدوا على نظام الدعوة الذي وضعه مؤسس دعوتهم بحيث لا يزيدون عليه ولا يغيرون فيه شيئًا، فهو عالم مجتهد وحينما يضع العالم الداعية نظامًا لدعوته فهو إنما يلاحظ ظروف المجتمع الذي يعيش فيه، وهذه الظروف تكون محكومة بالسياسة المعاصرة والعرف الاجتماعي العام والعرف الخاص في مجتمع العلماء وغير ذلك.

وقد جرت العادة أن الظروف الاجتماعية

والسياسية وغيرها تتغير من زمن إلى زمن فلا يجوز للموجهين من الأتباع أن يجمدوا على وصايا وتعليمات الداعية الأول، بل لابد من النظر والاجتهاد المتجدد حسب تغير أعراف العصر ومفاهيمه وذلك كله محكوم بتوجيهات الشريعة الإسلامية السمحة.

إن الجمود على تعليمات مؤسس الدعوة أو غيره من مجدديها يعني أن الأتباع يضفون على قادة الدعوة نوعًا من التقديس الذي لا يستحقونه لأن العالم الداعية مهما كان علمه وأثره في الدعوة ليس له حق التشريع من دون الله تعالى وإنما هو مجتهد في فهم شريعة الله جل وعلا وتطبيقها على واقع الناس، إن بلغ درجة الاجتهاد.

توحيد الهدف والمنهج والاجتماع عليهما

فالهدف السامي الذي يجب أن يعرفه المسلمون جميعًا ويسْعَوا جاهدين لبلوغه هو ابتغاء رضوان الله تعالى والجنة، قال تعالى ممتدحًا صحابة رسوله ﷺ ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الفتح:٢٩، الحشر:٨]، ففضل الله هو الجنة ورضوان الله أكبر من ذلك.

فالذين يُظهرون الإسلام وهم في قرارة نفوسهم لا يريدون الوصول إلى هذا الهدف ليسوا مسلمين حقًّا، وإنما هم منافقون، فهؤلاء خارجون عن نطاق الأخوة الإسلامية، وليسوا من جماعة المسلمين، سواء ظهر منهم دعوة إلى مذهب من مذاهب الكفر، أو كانوا نفعيين يريدون بإظهار الإسلام تأمين مصالحهم في الحياة الدنيا.

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

والذين يعرفون هذا الهدف ويسعون لبلوغه يجب أن يتحدوا جميعًا في المنهج الموصل لهذا الهدف، وذلك بأن يلتزموا بالكتاب والسنة على مثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، فإن هذا هو المصدر الوحيد لتلقِّي هذا الدين الموصل إلى الهدف السامي.

فمن ادعى بأنه يستطيع الوصول إلى الهدف السامي المذكور عن غير الطريق الذي سار عليه رسول الله ﷺ وأصحابه فلا يكون من جماعة المسلمين، ولا تنطبق عليه الأخوة الإسلامية، لأنه قد ادعى باطلاً وهو في الآخرة من الخاسرين.

أما من كان حريصًا على بلوغ الهدف السامي المذكور وكان ملتزمًا بالمنهج الإسلامي فإنه يكون

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

عضوًا في جماعة المسلمين، تنطبق عليه الأخوة الإسلامية بكل ما فيها من مزايا والتزامات سواءً أصاب في كل تفاصيل هذا المنهج أو أخطأ في بعض تفاصيله من غير أن يتعمد مخالفة ما جاء عن الله تعالى ورسوله ﷺ.

ومن هنا نعرف أن الأخوة الإسلامية تنطبق على المسلمين جميعًا ما داموا مسلمين ولم يصدر منهم ما يخرجهم من الإسلام.

وعلى هذا فإن المسلمين إذا اختلفوا في أمر لا يُخرج من الإسلام فإن أخوَّتهم الإسلامية تبقى حتى مع اختلافهم، ويجب عليهم أن لا يرتكبوا أمرًا من الأمور التي تؤدي إلى إضعاف الانتماء للأخوة

الإسلامية من التباغض والتقاطع والتهاجر والبراء ونحو ذلك.

ومما يدل على بقاء الأخوة الإسلامية بين المسلمين حتى مع ارتكاب كبائر الذنوب قول الله تعالى ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ ﴾[الحجرات:٩]فوصفهما الله سبحانه بالإيمان مع ارتكابهما لهذا الذنب الكبير، ثم يقول تعالى بعد ذلك ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ ﴾ [الحجرات:١٠]فجعل الطائفتين المتقاتلتين إخوانًا للمؤمنين.

وبهذا نعلم أن الله تعالى لم يضيق دائرة الأخوة الإيمانية فلم يقصرها على كاملي الإيمان، بل أدخل في

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

ساحتها الرحيبة من هبطت به طبيعته البشرية عن آفاق السمو نحو الالتزام الكامل فاقترف بعض الآثام التي لا تصل إلى حد الكفر.

وإذا كان المؤمنون إخوة فإنه لا يجوز لهم إضمار البغض والكراهية لإخوانهم وإن اختلفوا معهم في بعض الأحكام الدينية ما دامت الأخوة الإيمانية باقية بينهم.

وإنما الواجب في حال وقوع الخلاف في الدين بين المؤمنين أن يجتمعوا ويبحثوا القضايا المختلف فيها ويردوا ذلك إلى الكتاب والسنة، فإن أصرَّ المخالف على اتباع الباطل وهو يعلم أنه باطل وإنما يتبع هواه فيجب على المؤمنين أن يظهروا عداوته

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

وبغضه حتى يرجع عن غيه ويسلك طريق المؤمنين، أما إن أصر على موقفه وهو يعلم أنه الحق ولم يظهر منه ما يدل على أنه ممن يتبع هواه بغير حق فلا يجوز أن نتَّخذ منه موقفًا معاديًا ولا أن نضمر بغضه ما دام مسلمًا.

ومن هذا العرض يتبين لنا الأثر الواضح لوحدة الهدف والمنهج في تقوية الأخوَّة الإسلامية وتثبيتها فإن اتحاد الهدف يشد المسلمين جميعًا من أجل الوصول إليه وإذا عرفنا أن سبيل الوصول إليه يفرض على الساعين لبلوغه أن يتآخوا فيما بينهم وأنَّ أي اختلاف بينهم أو تقاطع يؤثر على سرعة وصولهم إليه فإننا نعرف بذلك أثر وضوح هذا الهدف

والإخلاص له في تثبيت الأخوَّة الإسلامية.

وإذا عرفنا أيضًا أن لهذا الهدف منهجًا واحدًا يوصِل إليه لا أكثر فإننا نعرف ضرورة التزام المسلمين جميعًا بهذا المنهج القويم.

وبضد ذلك الأهداف الأخرى الدنيوية فإن الوصول إليها يفرض التنافس والتحدي بين العاملين لها لأنها تكون لمن ظفر بها قبل غيره، ولذلك فإن الوصول إليها يفرض الاختلاف والعداوة والتخلق بالأخلاق السيئة.

ومن هذا يتبين لنا أن كثيرًا من المسلمين لا يعملون مخلصين للهدف السامي المذكور وإنما يعملون غالبًا لأهداف دنيوية قريبة، ولذلك يكثر

بينهم الشقاق والتناحر، ويظهر التنافس البغيض حتى بين العاملين في حقل الدعوة الإسلامية لأن الأهداف الذاتية قد تغلب أحيانًا على الهدف السامي فتكون تصرفات الدعاة منبثقة من إرادة المصالح الذاتية، سواء في ذلك المصالح الشخصية أو مراعاة سمعة الجماعة التي ينتمي إليها الداعية، وهذا يؤثر كثيرًا على سير الدعوة الإسلامية ولا بد من الإلحاح على تحرير الهدف السامي من مخالطة الأهداف الأخرى حتى يتم التوفيق بين المسلمين جميعًا، وخصوصًا بين العاملين في الدعوة إلى الله تعالى.

الاهتمام بأصول الدين وكلياته

من حكمة الله تعالى أن جعل تكاليف هذا الدين على درجات، فجعل للدين أصولاً يُبنى عليها، وهي الأركان، وشرع أمورًا لا بد منها للاستفادة من هذا البناء، وهي الواجبات، وشرع أمورًا تحسينية يكمل بها البناء، ويجبر ما عسى أن يكون فيه من نقص، وهي المستحبات، وحرم على المسلم ما يضر بهذا البناء ويعيبه وهي المحرمات، ونهاه عما يؤثر على كماله، وهي المكروهات.

وجعل لكل درجة من هذه الدرجات منزلة من الدين بحيث توضع في مكانها من الأهمية، وقد يترتب عليها أحكام أخرى.

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

ولقد كان النبي ﷺ في دعوته إلى هذا الدين يدعو أولاً إلى إحكام أصوله وأركانه حتى ينمو بناء الإيمان لدى المسلم، ويتكّون لديه الوازع الديني، فإذا قام البناء قويًّا بأركانه سهل بعد ذلك إكماله.

ومن الأدلة على أن النبي ﷺ بدأ دعوته بالدعوة إلى أركان الإسلام ما أخرجه الشيخان من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: إنك ستأتي قومًا أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإنْ هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب»[1].

وإن من واجب الدعاة أن يتأسوا برسول الله ﷺ في دعوته بحيث يدعون المسلمين إلى أداء أركان الإسلام أداء متقنًا، حيث إن هذه الأركان تؤدَّى غالبًا بصورة ناقصة وغير حيوية ولا مؤثرة في توجيه السلوك نحو الالتزام بمكارم الأخلاق.

ثم تكون الدعوة إلى الواجبات بنسب متكافئة

(١) صحيح البخاري، رقم ١٤٩٦، الزكاة باب ٦٣ (٣/ ٣٥٧)، صحيح مسلم، رقم ٢٩/ ١٩، الإيمان باب ٧ (ص ٥٠).

بحيث لا يكون التركيز على الواجبات الظاهرة مثلاً كصلاة الجماعة وإعفاء اللحى وتقصير الثياب فوق الكعبين، بحيث تُهمل الواجبات الأخرى كبرِّ الوالدين وصلة الأرحام والإحسان إلى الجيران وإتقان العمل الذي يكون الإنسان مسؤولاً عنه.

إن التكاليف الشرعية لَبنات متعددة يقوم بها البناء، فإذا كان التركيز على لَبنات معينة فإن جزءًا من البناء يكون قويًّا متماسكًا، وأجزاء منه تكون ضعيفة متهافتة.

لقد جرى عرف بعض الدعاة على تخصيص بعض الواجبات والسنن الظاهرة بالاهتمام،والحكم على من طبقها بأنه ملتزم وإن أهمل الواجبات

الشرعية الأخرى أو بعضها والحكم على من لم يطبقها بأنه غير ملتزم وإن طبق الواجبات الأخرى،وهذا يجعل الصغار المبتدئين في الالتزام يهتمون بهذه الواجبات والسنن أكثر من اهتمامهم بالواجبات الأخرى بل ربما أكثر من اهتمامهم بالأركان.

وحينما تكون هذه الواجبات والسنن الظاهرة التي يدعو إلى تطبيقها بعض الدعاة غير مطبقة في المجتمع بصورة بارزة فإن الذين يطبقونها يَظهرون بمظهر التميز عن مجتمعهم ويتعرضون للتساؤل والإنكار من أفراد مجتمعهم، وهذا لا غبار عليه لدى الكبار الذين أحيوا هذه الواجبات والسنن مع أدائهم للفرائض والواجبات الأخرى حيث تكوَّن لديهم

الإيمان القوي الذي لا يتأثر بموافقة المجتمع أو بمخالفته، بل إن إحياء هذه الواجبات والسنن الظاهرة مطلوب من هؤلاء لأنهم موضع القدوة.

أما الصغار فإنهم لن يواجهوا بمجرد الإنكار بل ربما يواجهون بالازدراء والسخرية نظرًا لصغر سنهم، وبعضهم يكونون تجاه ذلك بين فريقين، فريق يستجيب لضغط المجتمع من حوله فيترك الالتزام بهذه الواجبات والسنن، وحيث إن التدين عنده قد اقترن أساسًا بتلك التكاليف الظاهرة، فإنه ربما ترك الالتزام بالدين فكانت دعوته إلى الالتزام بتلك التكاليف قبل محاولة تقوية إيمانه فتنة له عن الدين.

وفريق يستمر على التزامه بها وتحديه للمجتمع،

وهؤلاء نظرًا لصغر سنهم قد يصابون بالكبر والغرور حينما يرون أنهم بالتزامهم بهذه الواجبات والسنن الظاهرة قد أصبحوا أفضل ممن حولهم من الكبار وإن كان لهؤلاء الكبار من أعمال الخير والبر ما لا يستطيع هؤلاء الصغار أن يصلوا إليه إلا بعد سنوات.

وحين يصابون بذلك تقسو قلوبهم شيئًا فشيئًا بحيث لا يتأثرون كثيرًا بالمواعظ، وتسوء معاملتهم للناس فيعاملونهم بعنف، لأنهم يرون أنهم أعلى منهم في الدين وإن كان من يتناقشون معه من العلماء أحيانًا.

وفي مقابل هؤلاء الذين يركزون على هذه

الواجبات والسنن الظاهرة نجد فريقًا من المفرِّطين الذين يسخرون من أولئك الملتزمين ويهزؤون بهم، فأحيانًا يسمونهم بأسماء مبتذلة يُفهم منها تحقيرهم والتهوين من شأنهم، وأحيانًا يشبهونهم ببعض الكفار فيشبهون من يلتزمون بإعفاء اللحى بفئات من الكفار قد التزموا بإعفاء اللحية، ويشبهون من يقصرون ثيابهم بفئات من الكفار يفعلون ذلك مع اختلاف المقاصد.

وهذا العمل السيء الذي يقوم به هؤلاء في غاية الخطورة على دينهم لأن المؤمنين الذين التزموا بتكاليف الإسلام الظاهرة إنما التزموا بها وقاوموا مجتمعهم ابتغاء وجه الله تعالى حيث اقتنعوا بأنها

تكاليف إسلامية، وأن من واجبهم أن يحيوها، فالذي يسخر منهم من أجل التزامهم بهذه التكاليف إنمايكون قد سخر من الإسلام نفسه.

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

الاهتمام بما اتفق عليه علماء المسلمين

إن مما يلاحظ أن بعض الدعاة يهتمون بمسائل الخلاف ويكثرون من الجدل حولها، بينما يغضون أبصارهم عن مسائل الاتفاق، فإن علماء المسلمين منذ عهد الصحابة رضي الله عنهم اتفقوا على أغلب قضايا الدين إجمالاً واختلفوا في بعضها، واختلافهم يقل ويكثر باختلاف العصور.

وإن هذه النظرة لدليل واضح على ميل هؤلاء إلى التميز وبُعدهم عن تصور روح الجماعة والاتفاق، وإن الأولَى بهم أن يجعلوا من مواضع الاتفاق التي هي الأكثر سببًا لتوثيق أواصر المودة والولاء بينهم، ثم يتفاهموا بعد ذلك بهدوء وحكمة وتجرد من الهوى

في مواضع الخلاف مع رد ما اختلفوا فيه إلى الكتاب والسنة.

وقد نبه إلى هذا المعنى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بعد ما ذكر خلاف أهل السنة في مسمى الإيمان والإسلام حيث يقول:« فمن اتبع علمه حتى عرف مواقع الاستعمال عامة وعلم مأخذ الشُّبَه أعطى كل ذي حق حقـه، وعلم أن خير الكلام كلام الله، وأنه لا بيان أتم من بيانه وأن ما أجمع عليه المسلمون من دينهم الذي يحتاجون إليه أضعاف أضعاف ما تنازعوا فيه، فالمسلمون: سُنِّيُّهم وبِدْعيُّهم متفقون على وجوب الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ومتفقون على وجوب

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

الصلاة والزكاة والصيام والحج ومتفقون على أن من أطاع الله ورسوله فإنه يدخل الجنة ولا يعذَّب، وعلى أن من لم يؤمن بأن محمدًا رسول الله ﷺ إليه فهو كافر، وأمثال هذه الأمور التي هي أصول الدين وقواعد الإيمان التي اتفق عليها المنتسبون إلى الإسلام والإيمان، فتنازعهم بعد هذا في بعض أحكام الوعيد أو بعض معاني بعض الأسماء أمر خفيف بالنسبة إلى ما اتفقوا عليه، مع أن المخالفين للحق البين من الكتاب والسنة هم عند جمهور الأمة معروفون بالبدعة، مشهود عليهم بالضلالة؛ ليس لهم في الأمة لسان صدق ولا قبول عام، كالخوارج والروافض والقدرية ونحوهم، وإنما تنازع أهل العلم والسنة في أمور دقيقة تخفى على أكثر الناس ولكن يجب رد ما

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

تنازعوا فيه إلى الله ورسوله[1].

ويشبه هذا البيان الذي أصَّله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ما أطلقه شيخ السلفيين في مصر محمد رشيد رضا رحمه الله في قاعدته الذهبية التي قال فيها: نتفق فيما اجتمعنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه .

والمقصود بالأمور الخلافية التي لا تؤثر على وحدة المسلمين ولا تستلزم البراءة بينهم أن تكون دون الشرك الأكبر والكفر الأكبر المخرجَين من الملة، فالذين يدعون غير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل والذين يسألون الأموات قضاء حوائجهم

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٣٥٦).

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

قد وقعوا في الشرك الأكبر المخرج من الملة، وكذلك الذين يزعمون بأن الإسلام لا علاقة له بالحكم والسياسة وإدارة شؤون الحياة قد كفروا ببعض الإسلام، فلا وحدة مع هؤلاء جميعا ولا ولاء لهم.

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

إحسان الظن بالمسلمين

إن إحسان الظن بالمسلمين يعدّ من أهم الصفات التي يجب على الداعية أن يتحلى بها، لأن إحسان الظن يفتح الطريق أمامه ليدخل إلى قلوب الناس فيؤثر عليهم، فالذي يحسن الظن بالمسلمين يرى الجوانب الحسنة فيهم فيقبل على دعوتهم وهو باشُّ الوجه منطلق الأسارير، لأن نواحي الخير لدى هؤلاء المدعوّين تغطي على نواحي الشر، وتخفف من حدة الغضب الذي لا بد أن يعتري المؤمن عند رؤية ما لا يُرضي الله تعالى، فيتصرف الداعية عندئذ تصرفًا حكيمًا حيث تتجاذبه ناحية الإعجاب بصفات الخير لدى الناس، والتضجر من صفات الشر عندهم، فلا يحمله الإعجاب بما لديهم من خير على السكوت

عنهم سكوت الرضا بالباطل، ولا يحمله التضجر مما عندهم من الشر على الخصومة والعنف في الإنكار، بل يثني عليهم بما لديهم من الخير وينبههم على ما وقعوا فيه من الشر.

ولقد كان الدعاة الصالحون يوصون بحسن الظن بالمسلمين، ومن ذلك ماجاء في قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ: ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءًا وأنت تجد لها في الخير مدخلاً، وضَعْ أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك منه ما يغلبك[1].

وكذا ما جاء في قول أمير المؤمنين عمر بن

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٤/ ٣٥٩).

عبدالعزيز رحمه الله لابنه عبد العزيز: يا بني إذا سمعت كلمة من امرئ مسلم فلا تحملها على شيء من الشر ما وجدت لها محملاً في الخير[1].

وما رُوي عنه أنه قال:« أحسن بصاحبك -يعني الظن- ما لم يَغْلبك»[2].

وذلك أن إحسان الظن بالمسلمين يقي صاحبه من الإرهاق الفكري الذي يدور في خياله في محاولة تحليل تصرفات الناس نحوه، وإذا تطور هذا الفكر لديه فإنه قد يصل به إلى مرحلة الحقد والضغينة على أخيه، ثم قد يتطور ذلك إلى محاولة الانتقام منه، مع

(١) سيرة عمر بن عبدالعزيز لابن الجوزي/ ٢٣٥.
(٢) المرجع السابق/ ٥٢.

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

أن تلك الأفكار قد تكون بُنيت على أوهام لا حقيقة لها.

ومما يقع فيه بعض الدعاة إلى الله تعالى من الأخطاء أنهم ينظرون إلى الناس من زاوية واحدة، وهي ما وقعوا فيه من الشر والمخالفة لدين الله تعالى، فيحكمون على من رأوه يرتكب بعض هذه المخالفات الظاهرة بأنه لا خير فيه، ويُغفلون جوانب الخير الأخرى فيه التي قد يتفوّق في بعضها على من تقدم لدعوته.

والطريق الصحيح في الدعوة أن نركز على جوانب الخير لدى من أردنا دعوته لنتوصل بذلك إلى نهيه عن جوانب الشر، فنبحث عن جوانب الخير

كالمحافظة على الصلوات وعفة اللسان والمسارعة في نجدة المسلمين فنبرزها ونشيد بفاعلها، ثم نذكر بعد ذلك ما رأيناه من جوانب النقص.

إنك حينما توجه النقد مباشرة بدون أن يسبقه ثناء على فعل الخير تغطي على جوانب الخير لدى من انتقدته فيتصور أنك تسيء الظن به وأنك ترى بُعده عن الخير و أهله، بينما هو يرى لنفسه من وجوه الخير الشيء الكثير، فتحُول بذلك بينه وبين سماع موعظتك لأن بروز حظ النفس الذي لم يأخذ مكانه من الحوار يغطي على إمكان سماع التوجيه والتأثر به.

وقد كان ثناء النبي ﷺ على خالد بن الوليد أمام أخيه سببًا في دخوله في الإسلام وقد كتب إليه أخوه

الوليد كتابًا جاء فيه: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإني لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام وعقْلُك عقْلُك[1] ومِثلُ الإسلام جهله أحد؟ وقد سألني رسول الله ﷺ عنك وقال: أين خالد؟ فقلت يأتي به الله، فقال« مثله جهل الإسلام؟ ولو كان جعل نكايته وحدَّه مع المسلمين كان خيرًا ولقدَّمناه على غيره» فاستدرك يا أخي ما قد فاتك من مواطن صالحة[2].

وإن هذه الكلمات البليغة من رسول الله ﷺ في الإشادة بخالد بن الوليد كان لها أبلغ الأثر في تحوُّل قلبه وتوجهه إلى الإسلام، ولقد كان رسول الله ﷺ

(١) يعني وعقلك هو الذي عهدته فيك عقلاً كبيراً.

(٢) البداية والنهاية (٤/ ٢٣٨).

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

موفقًا كل التوفيق في فهم توَجُّهات النفوس ومواطن قيادها، فلقد أدرك حب خالد للزعامة والقيادة فوعد بتمكينه من ذلك وتقديمه على غيره في هذا المجال إلى جانب الإشادة بفكره وعقله، والتعجب من إبطائه عن الدخول في الإسلام مع ما لَه من عقل وفكر.

ومن الأمثلة الجيدة في هذا المجال ما كان من شأن الأنصار حينما أرادوا دعوة أحد سادتهم إلى الإسلام وشهود بيعة العقبة معهم وهو عبد الله بن حرام حيث قالوا له: يا أبا جابر إنك سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبًا للنار غدًا، ثم دعوه إلى الإسلام، فأسلم وشهد معهم بيعة العقبة[1].

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٥٨).

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

فهذا أُسْلُوب بارع وحكيم في الدعوة إلى الله تعالى نتج عنه قوة في التأثر وسرعة في الاستجابة، فهؤلاء الصحابة رضي الله عنهم بَدَأوا أولاً دعوة صاحبهم عبدالله بن حرام ﷺ بالثناء عليه بما هو أهله، فنادوه بكنيته، والنداء بالكنية تكريم للرجل عند العرب، ثم أثنوا عليه بأنه سيد من ساداتهم وشريف من أشرافهم، فلما دعوه إلى الإسلام بعد ذلك أسلم على الفور.

إن الثناء على الرجل الكريم يقلِّص من نفسه الأنانية والتعصب للذات، ويفتح فكره لتقبُّل الأمور العالية وإن خالفت هوى النفس في بداية الأمر، لأن الثناء على الكريم يُشبع رغبته في النظر إلى حظ النفس

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

من غير طغيان نحو الكبرياء ولا جنوح نحو الغضِّ من شأن الآخرين، فتكون مكافأته نحو من أسْدَى إليه هذا الجميل أن يلين في يده ويسمع قوله لأن كرمه يمنعه من أن يردَّ من تواضع له وأثنى عليه من غير أن يحقق له ما يريد أو بعض ما يريد.

وإذا كان هذا المنهج قد طبقه رسول الله ﷺ وأصحابه في معاملتهم مع الكفار ودعوتهم فإنه من باب أولى أن يطبقه الدعاة إلى الله تعالى في دعوة من انحرف من المسلمين عن الطريق المستقيم.

ومما كان يهتم به رسول الله ﷺ مما يتعلق بهذا الموضوع إبراز جوانب الخير لدى الإنسان ومحاولة الاستفادة منها لخدمة الإسلام مع الغضِّ عن جوانب

النقص التي لا تؤثر تأثيرًا كبيرًا، ومحاولة تلافيها بالتوجيه والتربية، ومن ذلك نظره لجانب الشجاعة والمقدرة الفائقة على القيادة لدى خالد بن الوليد ﷺ مع غضِّ النظر عن تسرعه في القتل، وتوجيهه في ذلك نحو الطريق السليم، وذلك حينما أرسله إلى بني جذيمة بعد فتح مكة داعيًا فقتل منهم فأرسل النبي ﷺ علي بن أبي طالب ﷺ فَوَدَى قتلاهم، وعوضهم عما فقدوا من أموالهم، وقال ﷺ: اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد، ثلاث مرات[1].

ومع هذا الخطأ الواضح من خالد ﷺ فإن النبي ﷺ عاد إلى توليته القيادة كما في غزوة تبوك حيث بعثه

(١) سيرة ابن هشام (٤/ ٦٦).

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

في سرية إلى أكيدر حاكم دومة الجندل، وكما بعثه إلى بني الحارث بن كعب فأسلموا على يده[1].

وقد لاحظ هذا الجانب من النقص عمر ﷺ فقال لأبي بكر ﷺ: إن في سيف خالد رهقًا، ولكن أبا بكر كان يُغلِّب جانب الاستفادة من طاقات الخير لدى خالد، فقال: لم أكن لأشيمَ سيفًا سله الله على المشركين[2].

ولقد كان النبي ﷺ يعامل المتقين بالعفو عن أخطائهم والتجاوز عن زلاتهم، فمن ذلك ما وقع من سعد بن عبادة ﷺ في حادث الإفك كما جاء في

(١) المرجع السابق (٤/ ٣٣٥،٢١٥).

(٢) تاريخ الطبري (٣/ ٢٧٨-٢٧٩)، وقوله «لأشيم» أي لأغمد.

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

حديث عائشة رضي الله عنها قالت - بعد أن ذكرت حديث الإفك -: فقام رسول الله ﷺ فاستعذر يومئذ من عبدالله بن أُبي ابن سلول، فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: يا معشر المسلمين من يُعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي؟ فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرًا، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيرًا وما كان يدخل على أهلي إلا معي[1] فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: يا رسول الله أنا أُعذرك منه، إن كان من الأوس ضربتُ عنقه، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك، قالت: فقام سعد بن عبادة - وهو سيد الخزرج وكان قبل ذلك رجلاً

(١) يعني صفوان بن المعطل السلمي رضي الله عنه الذي اتُّهم في حادث الإفك.

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

صالحًا ولكن احتملته الحمية – فقال سعد: كذبت لعمرو الله لا تقتله ولا تقدر على قتله[1].

فهذا القول صدر من سعد بن عبادة ﷺ وهو في حال غضب شديد، وهو مخالفة كبيرة لأنه غلَّب جانب العصبية القبلية على جانب الدين، حيث إن عبدالله بن أُبي زعيم المنافقين من قبيلة الخزرج، بينما سعد بن معاذ سيد قبيلة الأوس وقد كان بين القبيلتين عداء وحروب في الجاهلية، ومع ذلك فإن النبي ﷺ لم يَلُم سعد بن عبادة ولم يعاتبه فضلاً عن أن يحكم عليه بمخالفة أمرٍ مهم من أمور العقيدة، لأن هذا الخطأ يعدُّ يسيرًا في جانب رصيده الكبير من

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، رقم ٤٧٥٠ (الفتح ٨/ ٤٥٢).
صحيح مسلم، كتاب التوبة، رقم ٢٧٧٠ (ص٢١٢٩).

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

الدعوة إلى الإسلام والجهاد في سبيله ومعاداة أعدائه.

ولما ذكر الله تعالى بعض أعمال المحسنين قال في بيان جزائهم ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأحقاف:١٦].

وإذا كان الله سبحانه قد تجاوز عن سيئات المحسنين فلماذا يركز بعض الناقدين على ذكر المساوئ ويتجاوزون عن ذكر الحسنات؟!

بل إن النبي ﷺ تجاوز عن أحد الصحابة رضي الله عنهم في مخالفةٍ ظاهرها أنها خيانة للإسلام نظرًا لرصيده العالي من الأعمال الصالحة، وذلك فيما أخرجه أبو عبدالله البخاري رحمه الله تعالى من حديث

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

علي بن أبي طالب ﷺ قال:« بعثني رسول الله ﷺ وأبا مرثد والزبير - وكلنا فارس- فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها امرأة من المشركين معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين، فأدركناها تسير على بعير لها حيث قال رسول الله ﷺ، فقلنا: الكتاب، فقالت: ما معنا كتاب، فأنخناها فالتمسنا فلم نر كتابًا، فقلنا: ما كذب رسول الله ﷺ، لتُخرِجنَّ الكتاب أو لنجردنَّك، فلما رأت الجد أهوَتْ إلى حُجزتها -وهي محتجزة بكساء- فأخرجتْه، فانطلقنا به إلى رسول الله ﷺ، فقال عمر: يا رسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين، فدعني فلأضرب عنقه، فقال النبي ﷺ: ما حملك على ما صنعت؟ قال حاطب: والله ما بي أن لا أكون مؤمنًا بالله ورسوله

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

ﷺ، أردتُ أن تكون لي عند القوم يَدٌ يدفع الله بها عن أهلي ومالي، وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله، فقال النبي ﷺ: صدق ولا تقولوا له إلا خيرًا، فقال عمر: إنه قد خان الله والمؤمنين، فدعني فلأضرب عنقه، فقال: أليس من أهل بدر؟ فقال: لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبتْ لكم الجنة - أو قال: فقد غفرت لكم- فدمعت عينا عمر، وقال: الله ورسوله أعلم»[1].

ففي هذا الخبر مثل عظيم في التسامح مع أهل الفضل والتقدم في الإسلام، والغضِّ عن سيئاتهم

(١) صحيح البخاري، رقم ٣٩٨٣، كتاب المغازي، باب ٩، (٧/ ٣٠٤).

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

وإن كانت كبيرة.

فعمر بن الخطاب ﷺ من شدة حماسه الديني وغيرته على الإسلام وحياطته لدولته بادر إلى الإنكار الشديد على حاطب بن أبي بلتعة ﷺ، ووصفه بالخيانة، وطلب من رسول الله ﷺ أن يأذن له بقتله، ولكن النبي ﷺ المربي الكبير، الرحيم بالمؤمنين لم ينظر إلى حاطب من زاوية مخالفته تلك فحسب وإن كانت كبيرة، وإنما راجع رصيده الماضي في الجهاد في سبيل الله تعالى وإعزاز الإسلام، فوجد أنه قد شهد معركة بدر، ولم يشهد بدرًا إلا مؤمن صادق قوي الإيمان، لأن الإقدام على معركة بدر كان إقدامًا على الموت المرجح، ولا يصل إلى الجود بالأنفس إلا من ارتفع

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

رصيده الإيماني إلى الحد الذي يجسِّم أمام ناظريه الهدف الأعلى للمسلم، ألا وهو بلوغ رضوان الله تعالى والجنة، وإن كان في ذلك ذهاب النفوس والأموال.

وفي هذا توجيه للمسلمين إلى أن ينظروا إلى أصحاب الأخطاء نظرة متكاملة، وذلك بأن ينظروا فيما قدموه لأمتهم من أعمال صالحة في مجالات التعليم والإفتاء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله تعالى، فإن الذي يُسهم في إسقاط فروض الكفاية عن الأمة يستحق التقدير والاحترام، وإن بدرت منه بعض الأخطاء.

هذا فيما إذا كان ما صدر من هؤلاء خطأ محضًا

وزلة قدم، فكيف إذا كان ما صدر منهم رأيًا علميًّا ناتجًا عن الاجتهاد وهم من أهل ذلك؟!.

وإن بعض طلاب العلم في عصرنا هذا يتعجلون في نقد العلماء والدعاة لمجرد وقوعهم في آراء اجتهادية يرى بعض العلماء أنهم أخطؤوا فيها، وقد يصل النقد إلى حد السخرية وانتهاك الأعراض، مُغْفِلين تمامًا رصيدهم الماضي في الدعوة والجهاد وإنكار المنكر وتعليم العلم، وترى هؤلاء الطلاب يُجَسِّمون أخطاء هؤلاء الكبار ويبرزونها بصورة توحي للسامعين والقراء أن أولئك الذين تعرَّض إنتاجهم للنقد ليس لهم أي رصيد في خدمة الإسلام والمسلمين.

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

والمفترض في هذا المجال أن تُذكر حسنات هؤلاء أولاً ويعرَّف المسلمون بجهادهم وبلائهم في الإسلام وجهودهم في مجالي العلم والدعوة، ثم تُذكر الأمور التي يراها المنتقدون أخطاء وما يرونه من الصواب في ذلك مع لزوم الأدب في النقد العلمي، والبعد عن أسلوب السخرية والتنقيص.

هذا شيء مما يبينه لنا سلوك النبي ﷺ في مواجهة هذا الخطأ الكبير الذي ارتكبه حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه.

إن رصيد حاطب الكبير في الجهاد في سبيل الله كان حائلاً دون إدانته وإجراء العقوبة عليه، بل كان حاميًا له مما هو دون ذلك حيث لم يُسمع من مسلم

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

كلمة واحدة في نقده والإساءة إليه بعد قول النبي ﷺ «ولا تقولوا له إلا خيرًا».

ولقد كان العلماء الربانيون يحسنون الظن بإخوانهم من العلماء ويلتمسون لهم العذر فيما إذا كان ظاهر كلامهم يحتمل الصواب والخطأ، ومن ذلك ما ذكره الإمام ابن تيمية في التعليق على خبر ذكره أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري في« الرسالة القشيرية» قال القشيري:« وقيل قال الشبلي بين يدي الجنيد: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال الجنيد: قولك ذا ضيق صدر، وضيق الصدر لترك الرضا بالقضاء».

قال ابن تيمية: فإن هذا من أحسن الكلام، وكان الجنيد رضي الله عنه سيد الطائفة، ومن أحسنهم تعليمًا

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

وتأديبًا وتقويمًا، وذلك أن هذه الكلمة هي كلمة استعانة، لا كلمة استرجاع، وكثير من الناس يقولها عند المصائب بمنزلة الاسترجاع، ويقولها جزعًا لا صبرًا، فالجنيد أنكر على الشبلي حاله في سبب قوله لها، إذ كانت حالاً ينافي الرضا، ولو قالها على الوجه المشروع لم ينكر عليه[1].

ومن النصوص الجيدة في بيان الميزان الذي تضبط به الأحكام على الناس ما رواه عبدان بن عثمان عن الإمام عبد الله بن المبارك أنه قال: إذا غلبت محاسن الرجل على مساوئه لم تُذكر المساوئ، وإذا غلبت المساوئ على المحاسن لم تُذكر المحاسن[2].

(١) الاستقامة (٢/ ٨١-٨٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٥٢).

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

وهكذا أهل السنة لا يركزون على بيان المساوئ ويلغون المحاسن، وإنما ينظرون إلى الغالب على الإنسان من الحسنات أو السيئات، فإذا كان يغلب عليه الخير والأعمال الصالحة وسلامة الاتجاه فإنهم يُبرزون حسناته، ويغضُّون الطرف عن هفواته، ويلتمسون له العذر فيما أخطأ فيه، وإن كان الغالب عليه السيئات -سواء في مجال الشبهات أو في مجال الشهوات- فإن المصلحة تقتضي عدم إبراز حسناته والتنبيه على سيئاته حتى لا يكون وجوده ضررًا على المجتمع، سواء في مجال العلم أو في مجال العمل، وخاصة إذا كان مجاهرًا بالمعاصي أو داعيًا إلى ضلاله الذي آمن به.

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

ولقد خالف هذا المنهجَ أقوامٌ غلب عليهم التشدد في مجال النقد، فصاروا يغضُّون الطرف عن محاسن أهل الصلاح والخير، ويُبرزون ما لهم من أخطاء قد تكون حقيقية، وقد تكون أوهامًا في أذهان هؤلاء المنتقدين ولا حقيقة لها في الواقع.

كما خالف المنهج القويم المذكور أقوام تعصبوا لأهل الضلال والانحراف في مجال الشبهات، أو في مجال الشهوات، فأبرزوا محاسنهم وغضوا الطرف عن سيئاتهم التي كان لها أثر في ضلال بعض أفراد المجتمع الإسلامي وغوايتهم.

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

الإسرار بالنصيحة

مما يوصى به الدعاة إلى الله تعالى أن تكون نصائحهم لإخوانهم وانتقاداتهم عليهم سرًّا فيما بينهم، وأن يجتنبوا الانتقادات العلنية.

إن من أبرز الأسباب التي تؤدي إلى الفرقة في الدين الانتقاد العلني، وإذا كان كبار الدعاة يلاحظون خطر الفرقة في الدين فلا يُظهرون انتقاداتهم علنًا تفاديًا للفتن المترتبة على ذلك فإن صغار الدعاة قد لا يدركون هذا الخطر بل يسارعون إلى النقد الذي يترتب عليه من الضرر أكثر مما يحصل به من النفع، ويتحمسون للجدل الذي يجري بين بعض الدعاة من غير نظر لعواقبه السيئة على مستقبل الدعوة الإسلامية.

إن براعة الداعية تظهر في مقدرته على الحفاظ على روح الجماعة وتفادي النزاع والخلاف مع أدائه ما يريد من توجيهات نحو بناء المجتمع الإسلامي.

إن انتقاد الآخرين من الأمور المحببة للنفوس سواء كان النقد بحق أو بغير حق، وإن كثيرًا من الناس ميالون بطبعهم إلى تتبع أعمال الآخرين وإظهار النقد لهم، وفي سبيل إشباع هذه الرغبة تتضاعف لديهم ملاحظة عيوب الآخرين وتتضاءل في مقابل ذلك لديهم ملاحظة وجوه الخير عندهم.

وتظهر مقدرة الداعية في محاولة اجتذاب الناس للهداية مع حمايتهم من الاستجابة لإشباع رغبات النفوس في النقد والانتصار للرأي، والاقتصار في

ذلك على حدود الاعتدال الذي به تستقيم الأمور ولا يكون عاملاً من عوامل الهدم والتفرق في الدين.

أما حينما يركز الداعية على تغذية هذا الجانب وذلك بالإكثار من نقد العاملين في الدعوة أمام المبتدئين في هذا المجال فإنه سيكون له تأثير سريع في اجتذاب الشباب، لأنه -والحالة هذه- يسير مع تيار النفوس المحبب لها ولا يقاوم رغباتها، ولكنه يسيء في ذلك إساءة بالغة إلى الدعوة أمام أناس لا يفرقون بين النقد الهادف وبين مجرد النقد الذي يتجاوب مع رغبات النفوس، وفي الوقت نفسه يسيء إلى هؤلاء الذين استطاع أن يؤثر عليهم حيث نقلهم على الفور إلى المرحلة العليا من الدعوة والتي هي من اختصاص كبار الدعاة الذين مروا بمراحل التربية المختلفة،

وتوسعت معارفهم وأدركوا منافع النقد ومضاره، وبذلك فإن هؤلاء الشباب الذين رَسَخ في أذهانهم أن الدعوة تعني تقويم أعمال الآخرين لن يبذلوا جهودًا مذكورة في الدعوة الإسلامية وإنما بضد ذلك سيعملون على تشويه سمعة العاملين من حولهم، وربما عادوا بالنقد واللوم على من وجههم إلى هذا المنهج لأن النفوس إذا أَلِفَتْ هذا الأسلوب فليس لها حد معين تنتهي إليه، حيث إن أصحابها من كثرة التفكير في سُمُوّ العمل وكماله سيضعون حدودًا معينة للكمال المنشود حسبما تصل إليه اجتهاداتهم الفردية، وسينظرون إلى الدعاة العاملين في مجال الدعوة من منظار بلوغهم الكمال الذي حددوه أو نقصهم عنه، وستكون معايير النقد لديهم منبثقة من هذا الجانب،

مع أنهم لو مارسوا الدعوة فعلاً سيجدون أنفسهم عاجزين عن بلوغ ما حددوه للآخرين من مظاهر الكمال في الدعوة.

ولقد كان العلماء المربون يمقتون اشتغال الشباب بنقد العلماء، ومما أثر عنهم في ذلك ما روي عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى حيث يقول:« كنا إذا رأينا الشاب يتكلم مع المشايخ -أي يجادلهم- في المسجد أيسنا من كل خير عنده»[1].

إن البراعة في الدعوة كل البراعة أن يتجه دعاة التوحيد إلى فضح الجاهلية المعاصرة بمختلف صورها، وهذا هو المنهج السليم الذي كان عليه رسول الله ﷺ، فلقد كان يأمر شعراء المسلمين أن

(١) الجامع لآداب الراوي وأخلاق السامع (١/ ٢٠١).

يبادروا إلى هجاء المشركين وفضحهم.

لقد كان الصف الإسلامي في عهد النبوة واحدًا، ولم يكن هناك مناوشات كلامية تفرق صفهم، وكانت تربية النبي ﷺ إياهم عالية في إحسان الظن، وعدم التسرع في نشر المخالفات التي تؤثر على كيان المجتمع الإسلامي، وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ:« لا يُبلِغْني أحد من أصحابي عن أحد شيئًا فإني أحب أن أخرج إليهم وأنا سليم الصدر» أخرجه الإمام أبو داود من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ولم يحكم عليه بضعف[1].

والنصيحة قد تتحول إلى فضيحة إذا كانت

(١) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب ٣٣، رقم ٤٨٦٠، وقد قال أبوداود في سننه: وما سكتُّ عنه فهو صالح.

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

معلنة وفي وسط فتنة يحاول فيها أعداء الإسلام أن ينالوا من أعلام الدعاة إلى الله تعالى بأيديهم أو بأيدي غيرهم، ولذلك لما قام رجل ينصح علي بن أبي طالب ﷺ وهو على المنبر قال له:« لقد فضحتني ولم تنصحني» لأن عهده كان عهد فتنة، فهناك السبئيون المنافقون، والخوارج الضالون، وكلهم كانوا يلتمسون له العيوب، بينما كان عمر ﷺ يتقبل النصح العلني لأن مجتمعه يخلو من الفتنة.

إن الذي يوجه النقد العلني في الكتب أو على صفحات الصحف للعلماء البارزين الذين لهم باع طويل في محاربة الجاهلية المعاصرة إنما يُقَدِّم خدمة كبيرة لأعداء الإسلام، لأنه يوهن من موقف هؤلاء

الدعاة الكبار، الذين رسخ في أذهان الناس قوتهم في التصدي للباطل.

وإذا كانت المخالفة التي جرت من هؤلاء العلماء معلنة في الكتب أو الصحف، ورأى الغيور على دينه ضرورة تنبيه المسلمين إلى هذه المخالفة فلابد أن يمهد لنقده بمقدمات كافية يبين فيها فضائل هذا العالم مع الالتزام بقواعد الأدب العلمي المعروفة، وتحاشي توهين قدر هؤلاء العلماء أمام أعداء الإسلام.

إن الذي يهاجم هؤلاء العلماء أو ينتقدهم بعنف وبدون مقدمات، ويستخدم في ذلك وسائل النشر المعلنة مثله كمثل من أدرك فئة من المسلمين يُعدُّون

العدة لقتال أعدائهم والأعداء يستعدون لهم، فقام يهاجمهم بنقده المعلن أمام الأعداء والأصدقاء، فشغلهم بنفسه عن أعدائهم، ووهَّن موقفهم أمام أعدائهم.

ولقد وقع في هذا الخطأ رجل من كبار الصحابة كان مع خالد بن الوليد في قتال أهل الردة، فانتقد عليه هو وغيره أنه تسرع في قتل مالك بن نويرة، وأنه تزوج بامرأته من بعده[1]، ووجْه الخطأ في هذا النقد أن هذا الصحابي الجليل قاطع الجيش الإسلامي وذهب إلى المدينة يشكو خالدًا إلى أبي بكر، فما كان من أبي بكر وهو الرجل السياسي المحنك والقائد

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٢٧٨).

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

الحربي البارع إلا أن رده إلى قائده خالد وأشعره بخطئه في مهاجرته، وأن عليه أن يستمر في مشاركته في حروبه حتى تنقضي حروب الردة ثم يرفع إليه شكايته في ذلك الأمر.

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

الحذر من الفتنة في الدين

إن من الأمور المهمة التي يجب على كل مسلم أن يراعيها وخاصة من وفقه الله إلى الدعوة أن يحافظ على تثبيت إيمان المسلمين وتقويته وأن يجتنب الأمور التي تؤدي إلى فتنتهم وإضعاف إيمانهم ولو كانت هذه الأعمال من أعمال الخير.

وحينما فات معاذ بن جبل ﷺ ملاحظة ذلك فأطال الصلاة سبب فتنة لبعض المسلمين فلامه النبي ﷺ لومًا شديدًا، وقد أخرج خبره الشيخان رحمهما الله من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما« أن معاذ ابن جبل ﷺ كان يصلي مع النبي ﷺ ثم يأتي قومه فيصلي بهم الصلاة[1]،فقرأ بهم البقرة، قال:فتجوَّز

(١) يعني صلاة العشاء كماجاء في رواية للبخاري "قرأ معاذ في العشاء بالبقرة"–صحيح البخاري،رقم ٧٠٥،كتاب الأذان،باب ٦٣ (٢/ ٢٠٠).

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

رجل فصلى صلاةً خفيفة، فبلغ ذلك معاذًا فقال: إنه منافق، فبلغ ذلك الرجل فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنا قوم نعمل بأيدينا ونسقي بنواضحنا[1]، وإن معاذًا صلى بنا البارحة فقرأ البقرة فتجوَّزتُ، فزعم أني منافق، فقال النبي ﷺ: يامعاذ أفتَّان أنت؟ ثلاثًا، اقرأ والشمس وضحاها، وسبح اسم ربك الأعلى ونحوهما»[2].

وكذلك أخرج أبو عبد الله البخاري رحمه الله من حديث أبي مسعود رضي الله عنه قال: قال رجل:« يا رسول الله إني لأتأخر عن صلاة الفجر مما يطيل بنا فلان

(١) النواضح الإبل، أي يرفعون الماء من الآبار بالدلاء التي تجرها الإبل.

(٢) صحيح البخاري، رقم ٦١٠٦، كتاب الأدب، باب ٦٤ (١٠/ ٥١٥).
صحيح مسلم، رقم ٤٦٥، كتاب الصلاة، باب ٣٦ (ص٣٣٩).

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

فيها، فغضب رسول الله ﷺ، ما رأيته غضب في موضع كان أشد غضبًا منه يومئذ، ثم قال: يا أيها الناس إن منكم منفِّرين، فمن أم الناس فليتجوَّز فإن خلفه الضعيف والكبير وذا الحاجة»[1].

وليس المقصود بالتخفيف بالصلاة الإخلال بالطمأنينة، ولا تقليل القراءة المخل بكمال الصلاة، وإنما المطلوب الوسط في ذلك وهو الإيجاز مع الإكمال، كما أخرج أبو عبدالله البخاري رحمه الله في بيان صفة صلاة النبي ﷺ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال:« كان النبي ﷺ يوجز الصلاة ويكملها»[2].

(١) صحيح البخاري، رقم ٧٠٤، كتاب الأذان، باب رقم ٦٣ (٢/ ٢٠٠).

(٢) صحيح البخاري، رقم ٧٠٦، كتاب الأذان، باب رقم ٦٤ (٢/ ٢٠١).

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

فالنبي ﷺ أنكر على معاذ والإمام الآخر إطالة القراءة في الصلاة مع أنهما قد أرادا بذلك الخير، لما يترتب على ذلك من الفتنة لبعض المسلمين، فقدَّم الحذر من الفتنة على التوسع في أعمال الخير.

ولذلك فإن على الداعية أن يهتم بأمر جذب الناس إلى الإسلام وتحبيبه إليهم والبعد عن الدعوة إلى الأمور التي تسبب نفرتهم منه.

وإن مما تجدر الإشارة إليه في هذا المجال أن يلاحظ علماء الدين وطلاب العلم ما استقر عليه أمر المسلمين في مختلف بلادهم من السنن الظاهرة، فبعض أهل البلاد الإسلامية مثلاً يجهرون بالبسملة في الصلاة الجهرية وبعضهم يسرون بها، وبعضهم

يجهرون بكلمة« آمين» وبعضهم يسرون بها، إلى غير ذلك من الأمور التي يختلفون فيها، فينبغي مراعاة ما سار عليه الناس حفاظًا على الجماعة وتجنبًا للفرقة، فإذا انتقل العالم إلى بلد يسرون بالبسملة فينبغي له أن يسر بها، وكذلك الحال في الجهر بالتأمين والإسرار به وغير ذلك، إلا إذا كان المأمومون من طلاب العلم الذين يؤمن عليهم من الفتنة.

ومما يستدل به لهذا الأمر ما جاء في قول النبي ﷺ لعائشة رضي الله عنها« لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم فأدخلت فيه ما أُخرج منه وألزقته بالأرض، وجعلت له بابين بابًا شرقيًّا وبابًا غربيًّا فبلغتُ به أساس إبراهيم» أخرجه

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها[1].

فحيث كان أمر الكعبة ليس من أصول الإسلام ولا يترتب على تغييره إقرار دعوة التوحيد لم يُحدث فيه النبي ﷺ شيئًا، خصوصًا وأن أمر التغيير قد يحدث بسببه فتنة عن الدين كما جاء في الحديث.

ولقد رُوي عن الإمام الشافعي رحمه الله أنه كان إذا قدم إلى العراق يأخذ بمذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله في السنن مراعاة للشعور الديني لعامة المسلمين، ومن ذلك أنه صلى قريبًا من مقبرة الإمام أبي حنيفة فلم يقنت –والقنوت عنده سنة مؤكدة–

(١) صحيح البخاري كتاب الحج، باب ٤٢، رقم ١٥٨٦، صحيح مسلم، رقم ١٣٣٣/ ٤٠٢، كتاب الحج، باب ٦٩ (ص٩٧٠).

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

فقيل له في ذلك، فقال: أخالفه وأنا في حضرته،وقال أيضًا: ربما انحدرنا إلى مذهب أهل العراق[1]، وهذا يعدّ داخلاً في هذا الأمر ويُستأنس بصدوره من عالم كبير يُقتدى به.

ولكن حينما يكون الأمر متعلقًا بالفرائض والواجبات فإن العالِم مسؤول عن تطبيق ذلك مع بيان حكم الشريعة من الكتاب والسنة واجتهاد العلماء في فهمها والالتزام بالحكمة والرفق بمشاعر المسلمين، خاصة إذا كان الأمر يتعلق بأصول الدين فإن النبي ﷺ يوم فتح مكة قضى على جميع معالم الوثنية من الأصنام داخل مكة وخارجها، ولم يراع بإبقائها

(١) أدب الاختلاف للدكتور طه العلواني/ ١١٧، عن كتاب حجة الله البالغة/ ٣٣٥.

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

مشاعر أحد من الناس لأن إزالتها تعني وجود الإسلام وبقاءها يعني وجود الجاهلية.

هذا وقد وَجدتُ رسالة للإمام ابن تيمية بعنوان« خلاف الأمة في العبادات ومذهب أهل السنة والجماعة» فيها بيان لهذا الموضوع، وسأقتبس منها قبسات يسيرة تبين ضرورة الحفاظ على جماعة المسلمين ووحدتهم وإن أدى ذلك إلى ترك بعض السنن الظاهرة، وفي ذلك يقول رحمه الله تعالى: «قاعدة» في صفات العبادات الظاهرة التي حصل فيها تنازع بين الأمة في الرواية والرأي، مِثل الأذان والجهر بالبسملة والقنوت في الفجر والتسليم في الصلاة ورفع الأيدي فيها ووضع الأكف فوق

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

الأكف، ومثل التمتع والإفراد والقران في الحج ونحو ذلك، فإن التنازع في هذه العبادات الظاهرة والشعائر أوجب أنواعًا من الفساد الذي يكرهه الله ورسوله وعباده المؤمنون.

ثم ذكر أن أحد هذه الأنواع جهل كثير من الناس بالأمر المشروع المسنون.

والثاني: ظلم كثير من الأمة أو أكثرهم بعضهم لبعض وبغيهم عليهم، تارة بنهيهم عما لم ينه الله عنه، وبغضهم على ما لم يبغضهم الله عليه، وتارة بترك ما أوجب الله من حقوقهم وصلتهم، لعدم موافقتهم لهم على الوجه الذي يؤْثرونه.

والثالث: اتباع الظن وما تهوى الأنفس حتى

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

يصير كثير منهم متدينًا باتباع الأهواء في هذه الأمور المشروعة.

والرابع: التفرق والاختلاف المخالف للاجتماع والائتلاف، حتى يصير بعضهم يبغض بعضًا ويعاديه، ويحب بعضًا ويواليه على غير ذات الله، وحتى يفضي الأمر ببعضهم إلى الاقتتال بالأيدي والسلاح، وبعضهم إلى المهاجرة والمقاطعة، حتى لا يصلي بعضهم خلف بعض، وهذا[1] كله من أعظم الأمور التي أوجبها الله تعالى ورسوله ﷺ.

ثم استشهد بآيات تحث على الاعتصام بالجماعة وتنهى عن التفرق والاختلاف إلى أن قال: فنقول:

---

(١) يعني الاجتماع والائتلاف.

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

عامة هذه التنازعات إنما هي في أمور مستحبات ومكروهات لا في واجبات ومحرمات، فإن الرجل إذا حج متمتعًا أو مفردًا أو قارنًا كان حجه مجزئًا عند عامة علماء المسلمين، وإن تنازعوا في الأفضل من ذلك، ولكن بعض الخارجين عن الجماعة يوجب أو يمنع ذلك، فمن الشيعة من يوجب المتعة ويحرم ما عداها، ومن الناصبة من يحرم المتعة ولا يبيحها بحال.

وكذلك الأذان سواء رجَّع فيه أو لم يرجِّع فإنه أذان صحيح عند جميع سلف الأمة وعامة خلفها[1]، وسواء ربَّع التكبير في أوله أو ثنَّاه، وإنما يخالف في

(١) الترجيع بالأذان ترديد الصوت فيه، ويطلق على تكرار الشهادتين.

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

ذلك بعض شواذ المتفقهة، كما خالف فيه بعض الشيعة فأوجب له الحيعلة بحيَّ على خير العمل، وكذلك الإقامة يصح فيها الإفراد والتثنية، بأيَّتها أقام صحت إقامته عند عامة علماء الإسلام إلا ما تنازع فيه شذوذ الناس.

وكذلك الجهر بالبسملة والمخافتة كلاهما جائز لا يبطل الصلاة وإن كان من العلماء من يستحب أحدهما أو يكره الآخر أو يختار أن لا يقرأ بها، فالمنازعة بينهم في المستحب وإلا فالصلاة بأحدهما جائزة عند عامة العلماء، إلى أن قال: فلا نزاع أنه كان من الصحابة من يجهر بالبسملة كابن الزبير ونحوه، ومنهم من لم يكن يجهر بها كابن مسعود وغيره،

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

وتكلم الصحابة في ذلك ولم يُبطل أحد منهم صلاة أحد في ذلك، وهذا لم أعلم فيه نزاعًا وإن تنازعوا في وجوب قراءتها فتلك مسألة أخرى.

وكذلك القنوت في الفجر إنما النزاع بينهم في استحبابه أو كراهيته وسجود السهو لتركه أو فعله، وإلا فعامتهم متفقون على صحة صلاة من ترك القنوت وأنه ليس بواجب، وكذلك من فعله، إذ هو تطويل يسير للاعتدال ودعاء الله في هذا الموضع، ولو فَعل ذلك في غير الفجر لم تبطل صلاته باتفاق العلماء فيما أعلم.

إلى أن قال: وإذا كان النزاع إنما هو في الاستحباب عُلم الاجتماع على جواز ذلك وإجزائه،

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

ويكون ذلك بمنزلة القراءات في القرآن فإن جميعها جائز وإن كان من الناس من يختار بعض القراءات على بعض، وبهذا يزول الفساد المتقدم، فإنه إذا علم أن ذلك جميعه جائز مجزئ في العبادة لم يكن النزاع في الاختيار ضارًّا، بل قد يكون النوعان سواء وإن رجح بعض الناس بعضهما، ولو كان أحدهما أفضل لم يـجُزْ أن يُظلم من يختار المفضول ولا يُذم ولا يعاب بإجماع المسلمين، بل المجتهد المخطئ لا يجوز ذمه بإجماع المسلمين، ولا يجوز التفرق بذلك بين الأمة، ولا أن يُعطَى المستحب فوق حقه فإنه قد يكون من أتى بغير ذلك المستحب من أمور أخرى واجبة ومستحبة أفضل بكثير، ولا يجوز أن تُجعل المستحبات بمنزلة الواجبات، بحيث يمتنع الرجل من تركها ويرى أنه

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

قد خرج من دينه أو عصى الله ورسوله، بل قد يكون ترك المستحبات لمعارض راجح أفضل من فعلها، بل الواجبات كذلك، ومعلوم أن ائتلاف قلوب الأمة أعظم في الدين من بعض المستحبات، فلو تركها المرء لائتلاف القلوب كان ذلك حسنًا، وذلك أفضل إذا كان مصلحة ائتلاف القلوب دون مصلحة ذلك المستحب، وقد أخرجا في الصحيحين عن عائشة أن النبي ﷺ قال لها:« لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لنقضت الكعبة ولألصقتها بالأرض ولجعلت لها بابًا يدخل منه الناس وبابًا يخرجون منه»[1] وقد احتج بهذا الحديث البخاري وغيره على أن الإمام قد يترك بعض الأمور المختارة لأجل تأليف

(١) سبق ذكر هذا الحديث.

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

القلوب ودفعًا لنفرتها[1].

وبهذه المناسبة أذكر أنني كنت مسؤولاً عن عدد من الدورات التي أقيمت في وسط آسيا وبلاد القوقاز في عام ١٤١٣هـ وكانت تابعة لهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية، وقبل السفر اجتمع الإخوة المكلفون بهذه الدورات من مديرين وأساتذة في مقر هيئة الإغاثة في مدينة جدة، فوفقني الله إلى توجيههم بكلمات أشرت عليهم فيها بعدم إثارة موضوعات الخلاف في أمور العقيدة، والسير في أمور السنن الظاهرة في الصلاة ونحوها على مذهب أهل تلك البلاد، وضربت لهم مثلاً بالجهر بالبسملة في البلاد

(١) رسالة "خلاف الأمة في العبادات ومذهب أهل السنة والجماعة" مجموعة الرسائل المنيرية (٣/ ١١٥).

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

التي يطبق أهلها المذهب الشافعي، وعدم الجهر بآمين في البلاد التي يطبق أهلها المذهب الحنفي، وقد طبق أكثر الإخوة المبعوثين ذلك، فكان سببًا في نجاح تلك الدورات، وأذكر على سبيل المثال أن بعض أولياء الأمور في داغستان رفضوا إلحاق أبنائهم في الدورة خوفًا من اختلاف المذهب، فلما رأوا مدير الدورة يجهر بالبسملة سارعوا إلى إلحاق أبنائهم، وقد صلى بهم ذلك المدير صلاة الجمعة فلم يتحرجوا من الصلاة خلفه، وقد علمت بعد ذلك أن دورات وقع الخلل فيها بسبب مجابهة بعض القائمين بها أهل تلك البلاد في مسائل الخلاف.

وحينما سافرت إلى أندونيسيا في عام ١٤١١هـ

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

قدمني المرافقون لصلاة الجمعة في مدينة باندونج فقال لي الأخ المترجم: تكون مشكلة لو لم تجهر بالبسملة، فأخبرته بأنني عازم على الجهر بها، وذلك لأنني خشيت إن لم أفعل أن يزول تأثر بعضهم بالخطبة التي سمعوها، فكان تأثر المصلين بذلك كبيرًا.

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

عدم التعصب للجماعة

إن من أقوى الأسباب التي تفرق بين الجماعات وتباعد من سبل التفاهم بينها أن يتعصب أفراد كل جماعة لجماعتهم بغير حق وأن يقوموا بالاستهانة بموجهي الجماعات الأخرى.

وإن من أفضل العوامل التي تحول دون هذا التعصب المذموم أن يجعل قادة الجماعات الدعوية أنفسهم بمنزلة علماء الصحابة الذين تصدروا لتعليم الناس ودعوتهم كعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم، حيث إن لكل عالم من هؤلاء وأمثالهم أتباعًا وهم تلامذتهم وتلامذة تلامذتهم ومن تأثر بهم، فأهل الكوفة أو أغلبهم

يتبعون ابن مسعود، وأهل مكة أو أغلبهم يتبعون ابن عباس، وطائفة من أهل المدينة يتبعون أبا هريرة.

وسار على شاكلتهم علماء التابعين وأتباع التابعين، فكل واحد من مشاهير العلماء له أتباع ولكنهم لم يكونوا يغضون من شأن العلماء الآخرين وإن اختلفوا معهم في الرأي والاجتهاد، بل كان بعضهم يثني على بعض، وإذا انتُقِد عالم أمامهم بشيء من التجريح أنكروا ذلك، وطلابهم لم يكن من شأنهم أن يُعلُوا مِن شأن عالمهم سواء بحق أو بباطل، ولم يكن من شأنهم أن يخفضوا من شأن العلماء الآخرين من غير نظر في كونهم على حق أو باطل.

ولم يكن من شأن طلاب العلم آنذاك أن ينظروا

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

إلى الحق من منظار التبعية لشيوخهم، وإنما كانوا ينظرون إلى الحق لذاته، كما اشتهر عنهم أنهم كانوا يعرفون الرجال بالحق ولم يكونوا يعرفون الحق بالرجال.

ولا ينبغي أن يُنظر إلى تعدد جماعات الدعوة على أنه حالة سيئة بل ينبغي أن نشبه ذلك بتعدد العلماء المتبوعين، ولكن بشرط الالتزام بالأدب العلمي، والنظر إلى الهدف الأعلى للدعوة، وهو النظر في تكوين جيل من الشباب الواعي بغض النظر عن تبعيتهم لجماعة معينة.

النور خير وإن كان فيه ظلمة

لقد قرأت للإمام ابن تيمية كلمات نيرة ينكر فيها على من يرى أنه إما أن تكون الدعوة إلى الإسلام الكامل أو لا خير في الدعوة ونشر العلم، وفي ذلك يقول: فإنه ينبني على الأصل الذي قدمناه من أنه قد يقترن بالحسنات سيئات إما مغفورة أو غير مغفورة، وقد يتعذر أو يتعسر على السالك سلوك الطريق المشروعة علمًا وعملاً، فإذا لم يحصل النور الصافي، بأن لم يوجد إلا النور الذي ليس بصاف وإلا بقي الإنسان في الظلمة فلا ينبغي أن يعيب الرجل وينهى عن نور فيه ظلمة إلا إذا حصل نور لا ظلمة فيه، وإلا فكم ممن عدل عن ذلك يخرج من النور بالكلية إذا خرج غيره عن ذلك، لما رآه في طرق الناس من الظلمة.

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

ثم قال بعد كلام له: وهذا أصل عظيم وهو: أن تُعرف الحسنة في نفسها علمًا وعملاً سواء كانت واجبة أو مستحبة. وتعرف السيئة في نفسها علمًا وقولاً وعملاً، محظورة كانت أو غير محظورة - إن سميت غير المحظورة سيئة- وأن الدين تحصيل الحسنات والمصالح، وتعطيل السيئات والمفاسد.

وإنه كثيرًا ما يجتمع في الفعل الواحد أو في الشخص الواحد الأمران، فالذم والنهي والعقاب قد يتوجه إلى ما تضمنه أحدهما، فلا يُغفل عما فيه من النوع الآخر، كما يتوجه المدح والأمر والثواب إلى ما تضمنه أحدهما فلا يُغفل عما فيه من النوع الآخر، وقد يُمدح الرجل بترك بعض السيئات البدعية

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

والفجورية، لكن قد يسلب مع ذلك ما حُمد به غيره على فعل بعض الحسنات السنية البِرِّيـَّة.

فهذا طريق الموازنة والمعادلة، ومن سلكه كان قائمًا بالقسط الذي أنزل الله له الكتاب والميزان[1].

وإن هذه المقالة تذكرني بخبر سمعته من أحد الدعاة بأن جماعة من جماعات الدعوة كان لها نشاط في دعوة الوثنيين في بلادهم إلى الإسلام عن طريق الإحسان إليهم برفع المستوى المعيشي لأسرهم، فكان أن دخل عدد منهم في الإسلام عن طريق أفراد تلك الجماعة، فغاظ ذلك أفرادًا من جماعة أخرى فأخذوا يشوهون صورة أولئك الذين اجتذبوهم للإسلام

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٦٤-٣٦٦).

بذكر مثالب جماعتهم حسب تصورهم، فلنفرض جدلاً أن تلك الجماعة التي نجح بعض أفرادها في هداية بعض الكفار عندهم بعض الأخطاء في فهم الإسلام أو القصور في التطبيق، وأنهم سينقلون الوثنيين إلى إسلام فيه نقص فهل هذا خير لهؤلاء المهتدين أم بقاؤهم على الوثنية؟!

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

المرحلة الضرورية للاجتماع

لا شك أن اجتماع الجماعات الإسلامية تحت قيادة واحدة هو العمل الكامل، ولكن حينما يتولد عن الدعوة إلى الاجتماع شيء من الإباء والنفرة فإنه لا ينبغي الإلحاح على توحيد الجماعات ما داموا في مرحلة الدعوة والتعليم والتربية، وإنما ينبغي دعوة الجميع إلى تعليم الإسلام والدعوة إليه كاملاً من غير تخيُّر لبعض تكاليفه دون بعض، فإن بعض الدعاة يكتفون بالدعوة إلى جانب أو جوانب من الإسلام ويهملون الجوانب الأخرى، إما لكون شيخ الدعوة الأول قد اقتصر على تلك الجوانب أو لكون الجوانب التي أهملوها تكلفهم مواجهة أصحاب السلطة أو مواجهة الجماهير أو لغير ذلك من الأسباب.

نعم قد يكون من الحكمة عدم الدعوة إلى تطبيق حكم معين من أحكام الإسلام، كالدعوة إلى إقامة الحكم الإسلامي أو الجهاد في سبيل الله تعالى لما يترتب على ذلك من الضرر بالمسلمين كما هو الحال في بلاد الأقليات الإسلامية، ولكن يجب على الدعاة أن يفرقوا بين المبدأ والتطبيق، فمن حيث المبدأ يجب على الدعاة أن يدعوا إلى الإسلام كاملاً كما جاء من عند الله عز وجل وأن لا يقيموا دعوتهم على بعض الإسلام دون بعض، أما من حيث التطبيق فإنه يجب على الدعاة أن يدعوا إلى الالتزام بما استطاعوا من الإسلام وعلى حسب ما تقتضيه الحكمة، كما قال رسول الله ﷺ:« إذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم» أخرجه

الشيخان[1]. وفي حال الاستطاعة على الإصلاح وتغيير المنكر واقتضاء الحكمة لذلك وهي مرحلة العمل،فإنه يجب على جميع الدعاة أن يكونوا صفًّا واحدًا ويدًا واحدة على أهل الباطل، وذلك في حال القناعة بأن ما توجهوا لمحاربته باطل يخالف الإسلام، وأن الحكمة تقتضي مواجهة ذلك الباطل، ولا يجوز التخلف عن إنكار المنكر لمجرد كون من تنبه لهذا الأمر ودعا إلى الإنكار جماعة أخرى، أو لتغليب جانب السلامة والقعود عن المواجهة اتباعًا للهوى، وهكذا كان علماء القرون المفضلة وأتباعهم، لم تكن طائفة منهم تتجه لإنكار المنكر وطائفة تقف

(١) صحيح البخاري، رقم ٧٢٨٨، كتاب الاعتصام (١٣/ ٢٥١)، صحيح مسلم، رقم ١٣٣٧، كتاب الحج (ص٩٧٥).

موقف المتفرج أو الذي لا يعنيه أمر إصلاح الأمة.

إن مهمة الداعية ليست محاولة إقناع أتباع الجماعة الأخرى ليكونوا تابعين لجماعته، وإنما من مهماته الأساسية أن يحاول إصلاح جماعته والجماعات الأخرى وذلك ببيان سبيل الهدى بالرفق والحكمة، ولا يضر بقاء هؤلاء المدعوين في جماعات أخرى ما داموا جميعًا سيتحدون في مرحلة العمل والمواجهة.

إن هذه الجماعات تشبه جيوشًا صغيرة تواجه عدوًا قويًّا مجتمعًا أمره أو عِدَّةَ أعداء، فلكل جيش أن يقوم بشؤونه الإدارية الخاصة ما داموا في حالة سلم، ولكن حينما يهجم العدو أو يريد الهجوم على هذه الجيوش فيجب عليهم أن يجتمعوا وأن تكون قيادتهم

واحدة حتى يظفروا بالنصر على الأعداء.

ولا شك أن اتحاد جماعات الدعوة في المراحل الأولى يعدّ هو الكمال، ولكن لا ينبغي أن يُتخذ عدم تمام ذلك سببًا للعداء والخلاف والتنافس المذموم، فإن من المشاهد أن الصراعات تقوم بين الجماعات حول الانتماء والمفاضلة بينها وهي لا تزال في مرحلة الدعوة والتربية، ثم تكون هذه الصراعات مانعًا من الاتحاد عند اللزوم وذلك في مرحلة المواجهة.

عدم النزاع على الولايات

إن حدوث النزاع على الولاية والحكم أمر طبيعي وشائع في كل بلاد العالم، ولكن حدوثه في بلاد المسلمين إلى حد القتال أمر مستنكر، ويزيد نكارة حين يتم بين العاملين في الدعوة إلى الله تعالى، وذلك أنَّ المظنون في الدعاة أن يقفوا صفًّا واحدًا ضد أعدائهم، وإن حدث بينهم خلاف فيجب ألاّ يترتب عليه بغض قلبي ولا عداء، فضلاً عن أن يترتب عليه مواجهات ميدانية.

وقد يخطر ببال هؤلاء الدعاة المتنازعين أن يسوغوا نزاعهم ومواجهاتهم بما حدث بين الصحابة ﷺ، زاعمين أن القتال جرى بين الصحابة وهم بلا شك أفضل فكيف يُنكَر حدوثه بين من هم دونهم؟

ويجب أن يعلم هؤلاء المتنازعون أن ما جرى بين الصحابة كان قطعًا ناتجًا عن اجتهاد في الدفاع عن الحق بحيث لو تبين لفريق منهم أن الحق مع الآخر لسلَّم له حالاً، وقد حصل فعلاً من طلحة بن عبيدالله والزبير بن العوام رضي الله عنهما أنْ تركا ساحة المعركة وهمَّا بالرجوع إلى المدينة ليرجع برجوعهما طوائف من الناس ثم ينتهي النزاع، بل إن الزبير ﷺ رجع فعلاً فقُتل غدرًا في وادي السباع، ولكن كما هو معروف في التاريخ قام السبئيون بإثارة الحرب ليلاً بين الفريقين فكانت معركة الجمل التي كرهها الطرفان من الصحابة وتمنوا أنهم ماتوا قبل ذلك.

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

الصراحة والوضوح

مما يوصَى به الدعاة إلى الله تعالى التخلق بخلق الصراحة والوضوح مع إخوانهم حتى تسلم معاملاتهم من الغموض والخداع، وذلك يضمن لهم سمعة عالية، إلى جانب كونهم قد قدموا عملاً صالحًا يثابون عليه.

وقد كان النبي ﷺ يربي أصحابه على هذا الخلق حتى أصبح شائعًا في معاملاتهم.

ومن ذلك ما أخرجه الشيخان رحمهما الله من حديث عائشة رضي الله عنها أن رجلاً[1] استأذن على

---

(١) قال الحافظ ابن حجر: قال ابن بطال: هو عيينة بن حصن الفزاري، - فتح الباري (١٠/ ٤٥٣).

النبي ﷺ، فلما رآه قال:« بئس أخو العشيرة، وبئس ابن العشيرة، فلما جلس تطلَّق النبي ﷺ في وجهه وانبسط له، فلما انطلق الرجل قالت له عائشة: يا رسول الله حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا، ثم تطلَّقت في وجهه وانبسطت إليه! فقال رسول الله ﷺ: يا عائشة متى عهدتني فاحشًا؟ إن شر الناس منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره»[1].

فقد انطلقت عائشة رضي الله عنها في مخاطبتها للنبي ﷺ من منطلق الصراحة التي تربَّت عليها.

وفي خبر مراجعة الأنصار رضي الله عنهم

(١) صحيح البخاري، رقم ٣١٣٢، كتاب الأدب، باب لم يكن النبي ﷺ فاحشاً (فتح الباري ١٠/ ٤٥٢)، صحيح مسلم، رقم ٢٥٩١، كتاب البر، باب ٢٢ (ص٢٠٠٢).

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

لرسول الله ﷺ حينما أعطى المؤلفة قلوبهم من غنائم حنين ولم يعط الأنصار شيئًا يقول سعد بن عبادة: يا رسول الله إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم، لِمَا صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظامًا في قبائل العرب ولم يكن في هذا الحي من الأنصار منها شيء، قال: فأين أنت من ذلك يا سعد؟ قال: يا رسول الله ما أنا إلا من قومي، إلخ الحديث[1].

فهذا يدل على اتصاف سعد بخلق الصراحة والوضوح فهو لم يبرئ نفسه من مشاركة قومه في موقفهم من القسمة مع علمه بأن النبي ﷺ يكره ذلك ما دام أنه قد أضمر في نفسه هذا الأمر.

---

(١) سيرة ابن هشام (٤/ ١٧٥-١٧٨).

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

وهكذا كانت أخلاق الصحابة رضي الله عنهم على الصدق والصراحة والوضوح، بينما نجد أبناء الدنيا يشاركون في الإنكار على المسؤول، ثم إذا جاء التحقيق في الموضوع برَّأوا أنفسهم قبل أن يكون تحقيق، بل لمجرد علمهم بأن الموضوع أثار نقمة المسؤول وتساؤله.

ومن أمثله الصراحة والوضوح ما جرى بين أمير المؤمنين عمر وعمار بن ياسر رضي الله عنهم من الحوار حول الولاية، وقد كان عمر ولاه على الكوفة ثم عزله عنها حينما اشتكاه أهلها، فقال له عمر: أساءك حين عزلتك؟ فقال: والله ما فرحت به حين بعثتني ولقد ساءني حين عزلتني، قال: لقد علمتُ ما أنت بصاحب عمل ولكني تأولت ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص:٥][1].

فهذا مثل في الصدق والصراحة والوضوح من أمير المؤمنين عمر وعمار رضي الله عنهما[2].

(١) تاريخ الطبري (٤/ ١٦٤).

(٢) وهذه التوجيهات قد ألقيتها في الملتقى الدعوي الذي أقامته رابطة العالم الإسلامي في عام ١٤٠٨هـ بصورة مختصرة، وكان مدير تلك الندوة أخاً نيجيرياً على مستوى رفيع في الفهم فقال: هذه التوجيهات لو ترجمت وأرسلت إلى نيجيريا لحلت بعض المشكلات القائمة هناك.
وإن كلام هذا الأخ يجعلني ملوماً في تأخير نشرها حتى الآن.

فهرس الموضوعات

الموضوع	ص
المقدمة.....	٥
إخلاص العمل لله تعالى.....	٧
تعظيم حق الله تعالى ودينه ورسوله ﷺ.....	٢٨
الالتزام بالمنهج الإسلامي.....	٣٢
توحيد الهدف والمنهج والاجتماع عليهما.....	٣٤
الاهتمام بأصول الدين وكلياته.....	٤٢
الاهتمام بما اتفق علماء المسلمين.....	٥١
إحسان الظن بالمسلمين.....	٥٥
الإسرار بالنصيحة.....	٨٠
الحذر من الفتنة في الدين.....	٩٠
عدم التعصب للجماعة.....	١٠٨
النور خير وإن كان فيه ظلمة.....	١١١

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ

المرحلة الضرورية للاجتماع.....	١١٥
عدم النزاع على الولايات.....	١٢٠
الصراحة والوضوح.....	١٢٢
فهرس الموضوعات.....	١٢٧

تعديل توجيهات للدعاة ١٤٣٦/٧/٢٤هـ